تربیۃ الاطفال فی ضوء سنۃ النبویۃ ﷺ

محمد وصی فصیح بٹ

استاذ العلوم الاسلامیہ

پی ای ایس ایچ ایس فاؤنڈیشن کالج کراچی

Abstract

Education for children is considered compulsory for muslims and non-muslims equitably, around the globe. The breeding foundation is based on the fact that, as per human nature childhood lays the stepping stone for his entire future. In true words, childhood is the period of his actual mindset, breeding and growth. As muslims it becomes our binding duty to breed and educate our children in the perspective of "sunnah". The teachings of our prophet Muhammad(S.A.W) are best and ever lasting. Just as the teachings and ahadith of our prophet Muhammad(S.A.W) are practical in various fields of life similarly His interaction, relation and behavior with children are golden examples for parents. There exist numerous ahadith regarding children as guiding principles for parents. Allah has gifted children with a vast learning urge and curiosity. The child is greatly affected by people around him and adopts their habits, way of speech and acts accordingly. When his elders present and reflect a better practical example of life before him, the child will positively follow their footsteps and become their shadow as he grows up.

الحمد لله الذی أبان للعباد منهج التربیة القویمة فی قرآنه

المجيد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بعثه الله للإنسانية مؤدباً وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار الذين أعطوا الأجيال المتعاقبة نماذج فريدة فى تربية الأبناء وتكوين الأمم. وعلى من نهج نهجهم، واقتفى أثرهم بإحسان الى يوم الدين.اما بعد: فانا احمد الله على التوفيق لان اعرض امامكم كلمات حول الموضوع" تربية الاطفال فى ضوء السنة"

اولا ينبغى لنا ان نعلم مفهوم التربية فى اللغة والاصطلاح

التربية فى اللغة:

يقول العرب: ربيته تربية بمعنى غذوته(۱)فمن معانى التربية فى اللغة التغذية اى توفير حاجات الانسان من الطعام و الشراب يكتمل جسمه ويتمتع بالصحة والعافية

التربية فى الإصطلاح:

قال البيضاوى: الرب فى الأصل بمعنى التربية، وهى تبليغ الشىء إلى كماله شيئًا فشيئًا(۲) وقال الراغب الأصفهانى: الرب فى الأصل التربية، وهو إنشاء الشىء حالاً فحالاً إلى حد التمام(۳)

يمكن لنا تعريف التربية بأنها تنشئة الإنسان شيئًا فشيئًا فى جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامى.

فالتربية هى اساس النجاةلاسيما للاطفال .فإن مرحلة الطفولة هى أخصب وأطول وأهم فترة يمكن للمربى أن يغرس فيها من المبادى القويمة والتوجيهات السليمة فى نفوس وسلوك أبنائه. فالفرص متاحة، والإمكانيات متوفرة، من فطرة سليمة، وطفولة ساذجة، وبراءة صافية، وليونة ومرونة، وقلب لم يُلَوَّث، ونفس لم تُدَنَّس. فإذا تمت الاستفادة الحسنة من تلك الفترة، كان الرجاء فيما بعدها أقرب.

و اعلمو إن تربية الطفل وتعليمه ليست من فضول القول والعمل، وليست من الكماليات، وإنما هى من الأساسيات والواجبات المتحتمات على الأبوين خاصة والمربين عامة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] إذًا فالتعليم والتأديب والتربية معناها الجنة، وإهمال ذلك معناه النار، فلا مجال إذًا للتفريط في هذه المهمة، وإنما لا بد من التأديب والتعليم، والنبي ﷺ يقول: "علّموا، ويسّروا ولا تعسروا"..(٣) فمن مطالعة سيرة النبي ﷺ نأخذ عدة قواعد للتربية الاطفال وهي:

١- يأمر ﷺ بتلقين الطفل كلمة التوحيد:

عن جندب بن عبد الله قال: "كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا."(٥)

وعن ابن عباس رضي اللهُ عنهما أن النبي ﷺ قال: "افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله.." (٦). والمقصود في هذا إنما يكون أول ما يفصح الطفل، ويبدأ في تعلُّم الكلام، فيُلَقن ما يستوعبه من شعب الإيمان التي أولها وأعلاها "لا إله إلا الله". وقد قرأتُ في إحدى الصحف، يقول الرجل المُغَفَّى لزوجته وهو ينظر بإعجاب إلى ولده: (أول ما نطق لم يقل يا بابا، قال يا ليل!!) وليس غريبًا أن يصدُر مثل هذا من أهل الغناء والموسيقى، ولكن البلوى أن تعم البلوَى، فيمن ساروا خلفهم من المنتسبين إلى الإسلام فصاروا يلقنون أبناءهم ما قاله المُغَنِّي الكاريكاتوري لزوجته. وعلى كل مَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أن يتساءل معي: إلى أين نسير بمثل هؤلاء الأطفال؟

(٢) ويعلمهم ﷺ أدب اللباس:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأى النبي ﷺ عليّ ثوبين معصفرين -أي مصبوغين بلون أصفر- فقال: "أمك أمرتك بهذا؟"

قلت: أغسلهما؟ قال: "بل أحرقهما"(٧) وفي رواية قال: "إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها"(٨).

فكيف لو رأى النبي ﷺ مَن يُلَبِّسون أطفالهم ملابس عليها شعارات الكفر ورايته، كعَلَم اليهود، أو عليها صورة داعرة، أو امرأة، أو وثني لاعب كرة، وغير ذلك مما حرمته الملة الإسلام-. وقد قال عُمر لعتبة: إياكم والتنعم وزيّ أهل الشرك، ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير (٩)

(٣) ويعانقهم ويمازحهم ويداعبهم ﷺ بشتى الأساليب اللطيفة:

أن النبي ﷺ، وهو سيد البشر كان يتواضع للأطفال عامة ولأولاده خاصة. يقول أنس بن مالك ﷺ: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: "يا أبا عُمير، ما فعل النغير؟" اي طائر يشبه العصفور كان يلعب به فمات(١٠).

وعن يعلى بن مرة قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام، فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه، فجعل الغلام يفر هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه، ثم قال النبي ﷺ: "حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا، الحسين سِبْطان من الأسباط (١١). وكان يضطجع ﷺ فيأتي الحسن والحسين فيلعبان على بطنه.

بهذه المداعبة والملاطفة للطفل كان يفيض ﷺ حنانًا وعطفًا وعاطفة صادقة يغذي بها نفوس الأطفال، بعيدًا عن الجفاء والقسوة، والشدة والغلظة.

(٤) ويؤكد ﷺ على الصدق معهم وعدم الكذب عليهم:

إن الأطفال يراقبون سلوك الكبار ويقتدون بهم، فلا يجوز خداعهم بأي حال. عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال ﷺ: "ما أردت أن تعطيه؟" قالت: أعطيه تمرًا. فقال لها: "أمَا إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتِبت عليك كذبة"(١٢).

فعلى المربي ان يراعي الصدق معهم في الحديث عند تسليتهم أو إضحاكهم أو سرد قصص وحكايات عليهم، وينبغي ألا يدخل الكذب في هذا كله. فعلم أن ما يتفوّه به الناس للأطفال عند البكاء مثلاً بكلمات هزلاً أو كذبًا بإعطاء شيء أو بتخويف من شيء حرام داخل في الكذب

(٥) ويصحبهم ﷺ في الطريق واعظًا ومعلمًا على قدر عقولهم:

الطفل من حقه أن يصحب الكبار ليتعلم منهم، فتتغذى نفسه، ويتلقح عقله بلقاح العلم والحكمة، والمعرفة والتجربة، فتتهذب أخلاقه، وتتأصل عاداته.

وها هو عبد الله بن عباس، ابن عمه ﷺ يسير بصحبته ﷺ على دابته، فيستفيد النبي ﷺ من تلك الصحبة في الهواء الطلق، والذهن خالٍ، والقلب منفتح، فيعلّمه كلمات، على قدر سنه واستيعابه، في خطاب مختصر وسهل، مع ما يحمله من معان عظيمة يسهلُ على الطفل فهمها واستخلاصها، يقول: "يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف"(١٣).

(٦) ويستخدم ﷺ العبارات الرقيقة في محادثتهم لاستمالة قلوبهم:

من عوامل بناء الثقة في نفس الطفل، ورفع روحه المعنوية وحالته النفسية؛ أن يُنادَى باسمه، بل بأحسن أسمائه، أو بكنيته، أو بوصف حسنٍ فيه. وقد كان رسول الله ﷺ قدوةً في ذلك؛ فتارة ينادي الصبي بما يتناسب مع صغره، فيقول: "يا غلام، إني أعلمك كلمات". وتارة يناديه بقوله: "يا بنيّ". كما قال لأنس لمّا نزلت آية الحجاب: "ورائك يا بني". وقد بوّأ أبو داود باباً في ذلك قال: باب في الرجل يقول لابن غيره: يا بني.

وتارةً أخرى يناديهم ﷺ بالكُنية، فالكنية تكريم وتعظيم، فكان يقول للطفل الصغير الفطيم: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟" لطائر صغير كان يلعب به فمات الطائر.

(٧) ولا يفرق ﷺ جماعتهم وهم يلعبون:

يحدث أحياناً أن يمر البعض منا على الصبيان وهم يلعبون فيقول لهم: أمَا عندكم شغل؟ أو: ما لكم بيوت تأويكم؟ إلخ... خاصةً إذا لم يعجبه شيء من لعبهم، لكنّ رسولنا محمدًا ﷺ لم يكن كذلك أبدًا، فكيف كان إذن؟

يقول انس رضي الله عنه أتاني رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا ألعب مع الغلمان - فسلم علينا، ودعاني، فأرسلني في حاجة، فلما رجعت، قال: "لا تخبر أحدًا". واحتبست على أمي، فلما أتيتها قالت: يا بني، ما حبسك؟ قلت. أرسلني رسول الله

ﷺ فی حاجة له.... الحدیث(۱۴)

فالنبی ﷺ یراعی ظروف الطفل وتلبیة رغباته النفسیة بعیدًا عن الکبت الذی یُولد الانفجار، فسلَّم أولاً علی الصبیان، وهذا تقدیر منه لهم، وتعوید علی إلقاء السلام وإفشائه، فضلًا عن تربیتهم علی الفضائل ومکارم الأخلاق، ثم جلس فی الظل عندهم ینتظر أنسًا، وکلما رأوه وهو یتابعهم وینظر إلیهم ویعجب ببهجتهم وحرکتهم؛ فیزدادون فرحة وسرورًا، فینشأون علی حبه، وهذا الذی یرید أن یغرسه فیهم ﷺ.

(۹) ویبتعد ﷺ کثیرا عن لومهم وعتابهم:

إن کثرة الملامة تجر إلی الندامة، والإسراف فی التوبیخ والتأدیب یزید من فعل القبیح المعیب، وقد کان رسول الله ﷺ أبعد الناس عن ذلك، فما کان یکثر العتاب للطفل واللوم علی تصرفات ما، وهو بهذا المسلك ﷺ إنما یغرس فی نفس الطفل روح الحیاء، وینمی فیه فضیلة الانتباه والملاحظة، والارتباط بذلك الخلق العظیم، وکل هذا ظهر فی أنس ﷺ الذی یصف التربیة العالیة التی ربّاه علیها الرسول ﷺ فیقول: خدمت النبی ﷺ عشر سنین، والله ما قال لی: "أُفٍ"، ولا: "لِمَ صنعت؟" ولا: ألاّ صنعت؟"(۱۵)

وقد یقول قائل: ونحن لو فعلنا هکذا فإن الولَد سیتجرأ ولن نستطیع أن نسیطر علیه أو نرشده! ولکنی أقول: فلِمَ لَمْ یتجرأ أنس، أو ابن عباس، أو زید بن حارثة وابنه أسامة بن زَید وأبناء جعفر، وأبناء العباس، وغیرهم ممن تربّوا علی یده ﷺ وصاروا أعلامًا فی الناس وأئمة للهدی؛ فإن قال: اسلوب النبی هو الأحسن، لکن الشباب تغیر، والجیل کما ترى، ونحن لسنا مثل النبی ﷺ أقول: فقد تعامل النبی ﷺ مع غرائب الشباب، فتعامل مع الشاب الذی جاء یستأذن فی الزنی، باللین والحکمة حتی أخذ بیده إلی النجاة والستوبة، وتعامل ﷺ مع کثیر من أصحاب الأخطاء والمعاصی والخمّارین - کما نسمّیهم - ویخرجون من عنده راشدین، وکلهم عاملهم ﷺ باللین والحکمة وکانت النتیجة إیجابیة، ولکنّ الفارق فعلًا أننا نتعجل ونستعجل النتائج ولا نصبر، والنبی ﷺ یقول: "فصبر علیهن"، "فأحسن صحبتهن".

وشرط تحقيق التربية الصحيحة أن نلتزم مع الطفل من البداية بدون ترك ثغرات أو فعل مخالفات أو السكوت على محظورات، فإذا أردنا أن نعالج وجدنا الوقت قد فات.

(١٠) وبحنان الأبوة يرشدهم ﷺ إلى مكارم الأخلاق:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يا بني، إذا قدرت أن تُصبح وتُمسي، ليس في قلبك غش لأحد فافعل" ثم قال لي: "يا بني، وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة" (١٦).

انظروا رحمكم الله، على أي شيء يربي النبي ﷺ الأطفال حين يمسون وحين يصبحون؛ فقال ابن القيم رحمه الله: ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلُقِهِ، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره، من: حَرَدٍ، وغضبٍ، ولَجَاجٍ، وعَجَلَة، وخِفّة مع هواه، وطيش، وحدة، وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له. اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء (١٧)

(١١) ويأكل معهم ويوجههم ويصحح أخطاءهم أثناء الاكل:

كثيراً ما كان النبي ﷺ يأكل مع الاطفال، وهي فرصة بلا شك أن يتعلم هؤلاء من معلمهم الأعظم آداب الأكل، فلم يكن ثمة معلم أحسن تعليماً ولا أحرص على تربية النشء منه ﷺ.

يقول عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: كنت غلامًا في حَجْر النبي ﷺ فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: "يا غلام، سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك" فما زالت تلك طعمتي بعد (١٨).

ولا بد من وقفة ها هنا لننظر إلى التوجيهات العملية السريعة، وما يقابلها من سرعة الاستجابة، ودوام الاستقامة (فما زالت تلك طعمتي بعد)، فهذا كله ما

أتى من فراغ، ولكنه نتيجة خطوات صحيحة، وتربية سليمة، بُذِلت مع أمثال هؤلاء الأطفال في جميع نواحي حياتهم، في فرحهم وحزنهم، في لعبهم وجدهم، في تنويمهم وإيقاظهم، في نصحهم ومداعبتهم، في إعطائهم حقوقهم

والاعتراف بكيانهم. فى الصدق معهم وعدم إهمالهم. فى مأكلهم فى مشربهم فى ملبسهم... وهكذا. فكانت النتيجة كما رأينا؛ ثمارة حلوة نضيجة (فما زالت تلك طعمتى بعد).

(۱۱) ويكافئ ﷺ الفائزين منهم ليشجعة.:

كان رسول الله ﷺ يصُفّ عبد الله، وعبيد الله(۲۰)، و كثيرا من بنى العباس رضى اللهُ عنهم ثم يقول: "من سبق إلى فله كذا و كذا" فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم وليتزمهم (۲۱). وما فعل رسول الله ﷺ ذلك إلا لأن المنافسة تنشط عقول الأطفال، وتنمى مواهبهم، وترفع همتهم.

(۱۲) ويعلمهم ﷺ الأذان والصلاة:

قال أبو محذورة: خرجت فى عشرة فتيان مع النبى ﷺ وهو أبغض الناس إلينا فأذنوا، فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال النبى ﷺ: "ائتونى بهؤلاء الفتيان" فقال: أذنوا فأذنوا، فكنت أحدهم، فقال النبى ﷺ: "نِعْم هذا الذى سمعت صوته، اذهب فأذن لأهل مكة" (۲۲) وقد اختاره رسول الله ﷺ مؤذنًا لحلاوة صوته التى أعجب بها رسول الله ﷺ حتى قبل أن يسلم أبو محذورة.

أما الصلاة فقد أمر ﷺ الآباء بتعليمها للأبناء عند سبع سنين، وضربهم على تركها عند عشر، قال ﷺ: "علموا الصبى الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر" (۲۳).

و كذلك يعلمهم ما يحتاجونه فى الصلاة، كما قال الحسن ﷺ علّمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى الوتر: "اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، فإنك تقضى بالحق ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت، وصلّى الله على النبى محمد" (۲۴).

و كان يصفهم ﷺ عن يمينه بجواره فى الصلاة رغم صغر سنهم، قال أنس بن مالك ﷺ: دخلت على النبى ﷺ يومًا وما هو إلا أنا وأمى وأم حرام خالتى؛ إذ دخل علينا النبى ﷺ فقال: "ألا أصلى بكم؟" وذالك فى غير وقت صلاة، فقال رجل من القوم: فأين جعل أنسًا منه؛ فقال: جعله عن يمينه، ثم صلى بنا، ثم دعا لنا -أهل

البيت- بكل خير من خير الدنيا والآخرة، فقالت أمي: يا رسول الله، خويدمك، ادع الله له، فدعا لي بكل خير، كان في آخر دعائه أن قال: "اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له" (٢٥).

(١٣) ويعلمهم ﷺ الجرأة الأدبية والشجاعة:

إنه يعلمهم الجرأة الأدبية ما دامت ليس فيها تجاوز لحقوق الآخرين.

فإن عمر رضي الله عنه تمنى لو تكلم ولده عبد الله في مجلس الكبار وحضرتهم حينما عرف إجابة سؤال سأله النبي ﷺ ولم يعرفه أحد غيره، ولم يعجبه سكوت ابنه عبد الله لمَّا

رأى أبا بكر وعمر لا يتكلمان (٢٦) إنه يريد أن يزيل عنه ظاهرة الخجل وأن يعلمه الجرأة الأدبية، ما دامت في حق وعلم، ولم يُتعدَ بها على حقوق الآخرين.

(١٤) ويدعوهم ﷺ للنوم المبكر بعد صلاة العشاء:

ومن هدى النبي ﷺ في صلاة العشاء: ما قاله أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه (إن رسول الله ﷺ كان يستحب أن يؤخر العشاء التي تدعونها العتمة، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها....(٢٨). فكم من الشباب يقضون الليل سهرًا لا يعلم به إلا الله، ثم ينامون قبيل الفجر كالجيف ولا يستيقظون إلا ظهرًا؛ فنهارهم ليل، وليلهم ويل، والله المستعان.

(١٥) ويعودهم ﷺ على غض البصر وحفظ العورة:

عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف رسول الله ﷺ من جمع (مزدلفة) إلى منى فبينا هو يسير إذ عرض له أعرابي مُردفًا ابنة له جميلة، وكان يسايره، قال: فكنت أنظر إليها، فنظر إليَّ رسول الله ﷺ فقلب وجهي عن وجهها، ثم أعدتُ النظر فقلب وجهي عن وجهها حتى فعل ذلك ثلاثًا، وأنا لا أنتهي، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة (٢٩)

(١٦) ولم يضرب ﷺ صبيًا ولا طفلاً أبدًا، لكنه ﷺ يبين أسس الضرب وقواعده:

عن أبي أمامة قال: أقبل النبي ﷺ معه غلامان، فوهب أحدهما لعلي،

صلوات الله عليه، وقال: "لا تضربه فإني نهيت عن ضرب أهل الصلاة وإني رأيته يصلي منذ أقبلنا..."(٣٠)

إن الغرض من العقوبة في التربية الإسلامية إنما هو الإرشاد والإصلاح لا الانتقام والتشفّي. ولهذا ينبغي أن يراعي طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته، ويُشجع على أن يشترك بنفسه في تفهم وإصلاح الخطأ الذي أخطأه، وتُغفر أخطاؤه وهفواته بعد إصلاحها.

(١٧) وإذا عاقب ﷺ الطفل عاقبه برفق ولطف

ثبت في الأحاديث أن النبي ﷺ لم يضرب بيده طفلًا ولا خادمًا ولا امرأة، لكنه ربما إذا عاقب اكتفى بشد الأذن. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أُهدِيَ للنبي ﷺ عنب من الطائف، فدعاني فقال: "خذ هذا العنقود فأبلغه أمك". فأكلته قبل أن أبلغه إياها، فلما كان بعد ليال، قال لي: "ما فعل العنقود، هل أبلغته أمك؟" قلت: لا. قال: فسمعني غدر.(٣١).

وقد يرى البعض أن الغلام ربما اشتهى العنب فأكل منه فليست مشكلة، وهذا هو الظاهر مما حدث أنه اشتهاه، ولكن رغم هذا هل يترك النبي ﷺ الموقف يمر ولا يستفيد الطفل تعلُّم الأمانة والصبر وتوصيل الأمانات إلى أهلها؟ كلا، إن إشفاق النبي ﷺ على ذلك الصبي أن يكون أمينًا، أعظم من إشفاقه على بطن الطفل وشهوة طعامه، ولعل هذا الالتباس هو الذي غر كثيرا من الناس، حتى أن أحدهم يكره أن يوقظ ولده لصلاة الفجر إشفاقًا عليه ليذهب إلى المدرسة مستريحًا بعد أن أخذ قسطًا من النوم كافيًا.

(١٨) ويعلمهم ﷺ آداب الدخول على أهليهم:

قال أنس: قال رسول الله ﷺ: "يا بني، إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهلك"(٣٢). بل يعلمهم ﷺ ضوابط التسليم فيقول: "يسلم الراكب على الماشي، والماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير".(٣٣)

ويبيّن أن السلام يكون قبل الكلام وقبل السؤال والطلب وكل شيء، فيقول: "السلام قبل السؤال، فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه"(٣٤).

وقال أيضا: "لا تأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام"(٣٥).

(١٩) ويلقنهم ﷺ آداب الاستئذان:

الطفل وهو صغير لم يبلغ الحلم يستأذن فى دخول غرف النوم على والديه أو غيرهم ثلاث مرات، تكون العورات فيها عُرضة للانكشاف فى تلك الأوقات وهى قبل صلاة الفجر، ووقت الظهيرة، وبعد صلاة العشاء، وقد حدّد الإسلام هذه الثلاثة للطفل الصغير قبل الاحتلام؛ لأنه فى هذه المرحلة يكون كثير الحركة واللعب، والدخول والخروج فيصعب ويشق عليه الاستئذان فى كل الأوقات. فإذا اقترب من البلوغ والاحتلام والتمييز فإنه يقل لعبه ودخوله وخروجه، وصار يفهم ويتحمل ولا يشق عليه أن يستأذن بالدخول على والديه فى سائر الأوقات كلما وجد الباب مغلقًا.

وكان أنس خادم النبى ﷺ يدخل عليه بغير إذن، فجاء يومًا ليدخل، فقال له: "كما أنت يا بنى، فإنه قد حدث بعدك أمر؛ لا تدخلن إلا بإذن."(٣٦)

(٢٠) ويحثهم ﷺ على مجالسة العلماء والتأدب معهم:

قال ﷺ: "ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده".(٣٧)

فحث النبى ﷺ أيضًا على إكرام العلماء ومعرفة حقهم وقدرهم، فقال صلوات الله تعالى وسلامه عليه: وقال ﷺ: "ليس من أُمتى من لم يُجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه"(٣٨).

فينبغى أن يُعَلَّم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه، وكل من هو أكبر منه سنًا، من قريب أو أجنبى، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم، وأن يترك اللعب بين أيديهم

(٢١) ويحذرهم ﷺ من مجالسة ومصاحبة الأشرار:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل"(٣٩).

وعن أبي موسى قال: رسول الله ﷺ: "انما مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحًا خبيثة"(٣٠).

وقد قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحريم: ٦]، ومهما كان الأب يصون الصبي عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أَوْلَى. وصيانته بأن يؤدبه، ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء... ولا يستعمل في حاضنته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال

(٢٢) ويعلمهم ﷺ أدب الكلام ومنزلة الأخ الأكبر:

جاء عبد الرحمن بن سهل وحُويصة بن مسعود إلى النبي ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم، فقال النبي ﷺ: "كَبِّر، كَبِّر"؛ أي: قدِّم بالكلام قبلك من هو أكبر سنًّا منك(٣١). فهذا حق الكبير، ولا يجوز للصغير أن يبادر بالكلام إلا إذا طُلِب منه، أو أن القوم انتخبوه متحدثًا عنهم، أو كان له هو سؤال وحاجة.

كما عَلمهم ﷺ القيام للكبير، أبا كان أو شيخًا، أو معلمًا، فما دنا سعد بن معاذ رضي الله عنه إلى المسجد قال النبي ﷺ للأنصار: "قوموا إلى سيدكم أو خيركم"(٣٢).

(٢٣) ويمنعهم ﷺ من أن يروع بعضهم بعضًا ولو مزحًا:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثني نفر من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالوا: "كنا في سفر فنام صاحب لنا، فأخذنا سهماً من كنانته، فلما استيقظ نظر فلم يجده، فضحكنا. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما شأنكم؛ فأخبرناه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً"(٣٣).

فالنبي ﷺ يبني أسس القواعد العامة في نفوس المسلمين وسلوكهم لتكون منهجًا لهم ولسائر الأمة، يتحدد بها موقفهم من الممنوع والجائز "لا يحل لمسلم أن يروع أخاه"، فلا يخفي عنه ماله أو ولده، ليتفرج على لوعته وحيرته، ثم يقول له: كنت أمزح، ولا يدخل عليه بيته من كان غير مألوف فيرعبه ويرعب من بالبيت ويقول: كنت أمزح، ولا يأتي من وراء ظهره ويُحدث صوتًا مرعبًا كصوت سيارة أوصوت كلب، حتى إذا أفزعه وأرعبه ضحك وقال: أنا أمزح! أين نحن من

تعاليم هذا الدين العظيم؟!

(٢٤) ويعلمهم ﷺ حب النبي وآله وأصحابه وتلاوة القرآن:

إن الفراغ الذي تحياه البشرية إلا ان ما هو إلا أثر من آثار فقدان القدوة الربانية الصحيحة التي على رأسها محمد ﷺ، ولكي تعود البشرية إلى رشدها وتخرج من غيها، فلا بد أن يلقن المربون أبناءهم حب النبي ﷺ، ويعرفوهم عليه ويربطوهم بشخصه الكريم، وهذا الذي فعله أصحاب النبي مع أبنائهم، فنشأوا على حب الرسول ﷺ والتسابق على خدمته، كأنس وابن عباس وغيرهم.

وقد كان ﷺ يربط قلوب أصحابه وأبنائهم رضوان الله عليهم بحبه ويعلمهم أن حبه من الإيمان. قال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"(٣٣)

وأما تعليمهم القرآن، فعن ابن عباس قال: وضع رسول الله ﷺ يده على كتفي أو على منكبي شك سعيد ثم قال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

وقال ابن عباس أيضًا: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم.

وقال أيضًا لسعيد بن جبير: جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ فسأله وما المحكم؟ قال: المفصل. (٣٥)

قال ابن كثير رحمه الله: "وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليمهم القرآن في الصبا، بل قد يكون مستحبًا أو واجبًا، لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يُصلي به، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرًا، وأشد عُلوقًا بخاطره وأرسخ وأثبت، كما هو المعهود في حال الناس. وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلاً للعب، ثم تُوفَّر همته على القراءة لئلا يلزم أولاً بالقراءة فيملَّها ويعدل عنها إلى اللعب، وكره بعضهم تعليمه القرآن، وهو لا يعقل ما يُقال له، ولكن يُترك، حتى إذا عقل وميز عُلِّم قليلاً قليلاً بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه، واستحب عمر بن الخطاب ﷺ أن يلقَّن خمس آيات". رويناه عنه بسند جيد(٣٦)

(٢٥) ويعلمهم ﷺ بر الوالدين وآدابه:

في حديث أبي هريرة ﷺ: "لا تمشين أمام أبيك، ولا تجلس قبله، ولا تدعه

باسمه، ولا تستسب له" أي لا تعرضه للسب وتجره إليه، بأن تسب أبا غيرك فيسب أباك مجازاةً لك، وقد جاء مفسرًا في الحديث الآخر: "إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه"۔ قيل وكيف يسب والديه؛ قال: "يسب أبا الرجل فيسب أباه وأمه"(۴۷)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال: رسول الله ﷺ: "إذا نظر الوالد إلى ولده فسره، كان للولد عتق نسمة" قيل: يا رسول الله، وإن نظر ثلاثمائة وستين نظرة؛ قال "الله أكبر"۔ (۴۸)

فالخلاصه:

جاءت تعاليم النبي ﷺ مؤكِّدة على الاهتمام بالطفولة لتكوين جيل من الأطفال ذي فكر علمي سليم، يعتمد عليه من خلال الاهتمام بالأسرة التي تبدأ بالزوج والزوجة باعتبارها اللَّبِنة الأولى في بناء المجتمع، والتربة التي تنشأ فيها شجرة الأسرة وتنمو وتُثمر، وعلى قدْر سلامتها وصلاحيته تكون النتيجة

المراجع:

۱ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005م،: ۱/۱۶۵۹

۲ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار النشر ، دار الفكر - بيروت: ۱/۵۱)

۳ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412هـ: ۱/۱۸۴

۴ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ر : مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانية 1420هـ، 1999م، :۴/۳۳۸، الرقم: ۳۳۸/۴

۵ الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، دار الفكر - للطباعة والنشر والتوزيع، ۱/۲۲، الرقم: ۲۳)

٦ الامام الحافظ أبي العلا محمدا عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المبارکفوری : تحفة الأحوذی،دار الکتب العلمية بيروت - لبنان، ٨ /٥٠)

٧ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيری النيسابوری : صحيح مسلم : دار إحياء التراث العربی-بيروت1415، ٣/١٦٣٤، الرقم:٢٠٧٧)

٨ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيری النيسابوری : صحيح مسلم : دار إحياء التراث العربی-بيروت1415، ٣/١٦٣

٩ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيری النيسابوری : صحيح مسلم : دار إحياء التراث العربی-بيروت1415، ٣/١٦٣١، الرقم:٢٠٦٩)

١٠ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاری،صحيح البخاری : دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى 1422هـ، ٨/٣٠، الرقم:٦١٢٩)

١١ محمد ناصر الدين الألبانی،: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاری1421هـ : دار إحياء التراث العربی-بيروت١/١٥٣، الرقم:١٥٢)

١٢ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانی : سنن أبي داود : دار الكتاب العربی،بيرو تالطبعة الثانية 1420هـ، 1999م، ٣/٣٥٥، الرقم:٣٩٩٣)

١٣ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيبانی، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانية 1420هـ ، 1999م، ٣/١٧٣، الرقم: ٢٧٦٣

١٤ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيبانی، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانية 1420هـ ، 1999م، ٣/١٧٣، الرقم: ١٢٨٠٧)

١٥ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاری، صحيح البخاری : دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى 1422هـ، ٨/١٣، الرقم:٦٠٣٨)

١٦ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذی السلمی: الجامع الصحيح سنن الترمذی: دار إحياء التراث العربی-بيروت, 5/46، الرقم:2678

١٧ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد

المعاد فی هدی خیر العباد،مؤسسة الرسالة، بیروت - مکتبة المنار الإسلامیة، الکویت،الطبعة: السابعة والعشرون , 1415ھ /1994م،ص:226، ج:4

۱۸ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشیبانی، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانیة 1420ھ ، 1999م،۴/۲۶، الرقم: ۱۶۳۷۵)

۲۰ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشیبانی، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانیة 1420ھ ، 1999م،۱/۲۱۳، الرقم: ۱۸۳۶)

۲۱ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشیبانی، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانیة 1420ھ ، 1999م، ۱/۲۱۳، الرقم: ۱۸۳۶)

۲۲ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشیبانی، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانیة 1420ھ ، 1999م، ۳۲ /۳۱۲، الرقم:۱۵۷۷۲)

۲۳ أبو بکر أحمد بن الحسین بن علی البیهقی : السنن الکبری وفی ذیله الجوهر النقی: مجلس دائرة المعارف النظامیة الکائنة فی الهند ببلدة حیدر آباد،الطبعة الأولی،1344ھ،۳/۸۳،الرقم:۵۲۹۴)

۲۴ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشیبانی، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانیة 1420ھ ، 1999م، ۱ /۲۰۰، الرقم:۱۷۲۳)

۲۵ مسلم بن الحجاج أبو الحسین القشیری النیسابوری : صحیح مسلم : دار إحیاء التراث العربی-بیروت 1415 ۲/۱۲۷،الرقم:۱۵۳۳)

۲۶ محمد بن إسماعیل بن إبراهیم بن المغیرة البخاری،صحیح البخاری : دار طوق النجاة، الطبعة : الأولی 1422ھ،۱/۲۳۳،الرقم:131

۲۸ محمد بن فتوح الحمیدی: الجمع بین الصحیحین البخاری ومسلم،دار

النشر /دار ابن حزم -لبنان/بيروت- 1423هـ- 2002م، ١/٣٣٥٦، الرقم:٩٣٠)
٢٩ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانية 1420هـ ، 1999م، ١ /٢١١، الرقم: ١٨٠٥)
٣٠ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الثانية 1420هـ ، 1999م،48 /260، الرقم:22810
٣١ الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، دار الفكر - للطباعة والنشر والتوزيع٣/٣٩٧، الرقم: ٣٣٦٦)
٣٢ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الأوسط: دار الحرمين - القاهرة، 1415/٦/١٢٣، الرقم:٥٩٩١)
٣٣ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري : صحيح مسلم : دار إحياء التراث العربي- بيروت1415،٧/٢، الرقم: ٥٧٧٢)
٣٤ الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الجامع الصغير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت1406،٣/٤٢، الرقم:٣٨٣٣)
٣٥ الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الجامع الصغير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت1406،٣/٢٢٦، الرقم: ٩٧١٨)
٣٦ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي : الأدب المفرد : دار البشائر الإسلامية - بيروت،الطبعة الثالثة ، 1409 - 1989،١ /٢٨١، الرقم: ٨٠٧)
٣٧ الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الجامع الصغير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت1406،٣/٤٧٧، الرقم:٧٧٧٦)
٣٨ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، إطراف المُسْنِد المعتَلِي بأطراف المسنَد الحنبل: [دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب]- [دمشق-بيروت]، ٢/٦٦٧، الرقم:٣٠٣٣)
٣٩ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن

الترمذی: دار إحیاء التراث العربی-بیروت۴/۵۸۹،الرقم:۲۳۷۸)

۴۰ محمد بن فتوح الحمیدی: الجمع بین الصحیحین البخاری ومسلم،دار النشر /دار ابن حزم-لبنان/بیروت-1423ھ-2002م،۱/۱۸۰،الرقم: ۴۵۲)

۴۱ محمد بن إسماعیل بن إبراهیم بن المغیرة البخاری، صحیح البخاری : دار طوق النجاة، الطبعة : الأولی 1422ھ،11/300،الرقم3173)

۴۲ مسلم بن الحجاج أبو الحسین القشیری النیسابوری : صحیح مسلم : دار إحیاء التراث العربی-بیروت 1415 ،۵/۱۶۰،الرقم: ۴۶۹۵)

۴۳ أحمد بن أبی بکر بن إسماعیل البوصیری : اتحاف الخیرة المهرة بزوائد المسانید العشرة،۶/۲۰)

۴۴ محمد بن إسماعیل بن إبراهیم بن المغیرة البخاری، صحیح البخاری : دار طوق النجاة، الطبعة : الأولی 1422ھ،۱/۱۲،الرقم۱۵)

۴۵ نور الدین علی بن أبی بکر الهیثمی، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : دار الفکر، بیروت-1412ھ،۹/۴۴۹،الرقم: ۱۵۵۱۵)

۴۶ أبو الفداء إسماعیل بن عمر بن کثیر القرشی الدمشقی،: تفسیر القرآن العظیم،: دار طیبة للنشر والتوزیع، الطبعة: الثانیة 1420ھ- 1999م،۱/ ۷۵)

۴۷ محمد بن إسماعیل بن إبراهیم بن المغیرة البخاری، صحیح البخاری : دار طوق النجاة، الطبعة : الأولی 1422ھ،5/2228،الرقم5628

۴۸ نور الدین علی بن أبی بکر الهیثمی، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : دار الفکر، بیروت-1412ھ،8/78،الرقم: 13487